

المحاضرة الثانية: تابع في الإطار المفاهيمي للمجتمع الدولي تطور المجتمع الدولي عبر العصور

عرف المجتمع الدولي تطوراً مهماً منذ العصور القديمة، وصولاً إلى عصر التنظيم الدولي، وظهرت المنظمات الدولية، ساهمت في تطويره وإثرائه من جوانب عدة (المضمون، القواعد، والأشخاص)، حيث ظهرت مع هذا التطور كيانات أخرى من غير الدول (المنظمات الدولية، كيانات التحرر، الشركات المتعددة الجنسيات وغيرها من الكيانات التي تنشأ فيه. كما اتسم بظهور وتطور قواعد القانون الدولي العام، وهي المسألة التي يصعب فصلها عن تطورات المجتمع الدولي بشكل عام.

أولاً: المجتمع الدولي في العصور القديمة والوسطى

عرفت العصور القديمة حضارات عريقة كانت لها تعاملات خارجية مع غيرها من الشعوب. والمتفق عليه أن غالبية الفقه الدولي أرجعوا نشأة القانون الدولي إلى عام 1648 تاريخ عقد معاهدة وستفاليا المنهية لحرب الثلاثين عاماً بين مسيحية الكاثوليك والبروتستانتية.

1- مرحلة العصور القديمة

لعب الزراعة دوراً هاماً في استقرار جماعات إنسانية ضمن حدود معينة، شكلت بمرور السنين حضارات متنوعة .

أ- في الشرق القديم

أ-1- الحضارة المصرية: حيث قام الفراعنة بإبرام معاهدات مع الشعوب المجاورة (تحالف، تبعية، حماية)

أ-2- حضارة الصين القديمة: عرفت الصين قواعد لإرسال المبعوثين ؛ كما لعب الفلاسفة دور مهم في إبراز قواعد عدة (الحد من الحروب، الدعوة إلى إنشاء منظمة دولية، أي إيجاد علاقة اجتماعية على مستوى العالم على أساس قانون الطبيعة).

أ-3- حضارة الهند: ظهرت خلالها قواعد "مانو لتنظيم الحرب" من تحريم قطع الأشجار أو قتل محارب استسلم، عدم جواز الاعتداء على الملك باعتباره من الآلهة.

ب- عند اليونان القديمة: كان المجتمع اليوناني منظم على شكل مدن مستقلة، تم بعدها وضع قانون ينظم العلاقات بين هذه المدن (وجوب إعلان الحرب، تبادل الأسرى، والتبادل الدبلوماسي)؛ كما توصلوا إلى عقد معاهدات ثنائية لحماية التجار، وإنشاء التحكيم لحل المنازعات بين هذه المدن.

ج- عند الرومان: كانت علاقات روما مع غيرها من الشعوب مبنية على إحدى المعاهدات التالية (صداقة، ضيافة، تحالف)؛ أما الشعوب الأخرى بمثابة شعوب تستحق الاستعباد.

نستخلص أن المجتمعات القديمة عرفت نوع من العلاقات الخارجية المحدودة نطاقاً وموضوعاً، قائمة على عدم المساواة بين الشعوب.

2- مرحلة العصور الوسطى: تم فيها:

2-1- التجزئة والفوضى السياسية: نتيجة سقوط الإمبراطورية الرومانية وتقسيم أوروبا إلى عدة ممالك سادت بينها حروب.

2-2- ظهور الإقطاعية: في أوروبا، قائمة على أساس انفراد حاكم بمظاهر السلطة وكثرة الحروب.

2-3- انتشار الديانة المسيحية في أوروبا: الأمر الذي ساعد البابا على بسط نفوذه على الجماعة الأوروبية المسيحية في أوروبا، التزم الأمراء في أوروبا ببعض القيم المأخوذة من الديانة المسيحية بخصوص علاقاتهم المتبادلة في إطار سلطة البابا، لذلك لا تعتبر قواعد دولية.

2-4 - ظهور الدين الإسلامي ونشوب الحروب الصليبية

كان للحروب الصليبية دور في تضامن الدول المسيحية الأوروبية ضد الدول الشرقية الإسلامية، التي قسمت المجتمع الدولي إلى:

- دار الإسلام: تشمل أراضي المسلمين تطبق فيها الشريعة الإسلامية.

- دار العهد: وهي الأراضي التي تربطها عهود مع المسلمين.

- دار الحرب: وهي مناطق غير خاضعة للديانة الإسلامية.

ثانياً: المجتمع الدولي في العصر الحديث

عرف المجتمع الدولي في العصر الحديث عدة تطورات، أدت إلى ظهور مجتمع دولي عالمي نتيجة تطورات مختلفة.

1- المجتمع الدولي في العصر الحديث: هناك عدة عوامل ساعدت في نشأة المجتمع الدولي نذكر منها:
- أ- **النهضة العلمية:** تم فيها المناداة بخضوع قانون الشعوب إلى القانون الطبيعي، بالتالي ضمان خضوع الدولة لهذا الأخير. بالإضافة إلى التمييز بين المجتمع المتكون من دول ذات سيادة متساوية، وهي أشخاص قانون الأمم، ومجتمع الأفراد داخل الدولة يخضعون لقانون الطبيعة، بحيث يتنازل الأفراد عن سيادتهم في حالتهم الطبيعية عندما يدخلون في عقد اجتماعي، كونهم في حاجة لمجتمع سياسي الذي يحل مكان الطبيعة، أما الدولة ليست بحاجة لذلك للدخول في جماعة متكونة من الدول.

- ب- **الاكتشافات الجغرافية:** بعد اكتشاف قارة أمريكا 1492 أخذت اسبانيا والبرتغال تتسابق للحصول على مستعمرات فيها، والتي لعبت دورا هاما في توسيع العلاقات الخارجية السياسية والتجارية.

- ج- **الثورتين الأمريكية والفرنسية:** كانت المستعمرات الأمريكية تابعة للتاج البريطاني في عام 1776، أعلنت انفصالها عن بريطانيا، الأمر الذي شجع باقي المستعمرات في القارة الأمريكية أن تعلن استقلالها عن أوروبا.

أما الثورة الفرنسية كانت ضد الحكم الملكي؛ من ضمن ما جاءت به الإعلان عن حقوق الإنسان والمواطن عام 1787، كما دعت الشعوب إلى تقرير مصيرها.

- د- **معاهدة وستفاليا:** لسنة 1648 التي تعد نقطة انطلاق ميلاد جديد للعلاقات الدولية المبنية على أساس استقلالية وسيادة الدول، وأول تدوين لقواعد القانون الدولي.

كان لهذه المعاهدة اثر بارز في مجال العلاقات الدولية، تولدت عنها مبادئ تشكل أساس القانون الدولي الأوروبي منها:

- فصل الدين عن الدولة بزوال سلطة البابا؛

- إقرار السيادة كمبدأ من مبادئ الدول، وكذا التساوي في السيادة بين الدول؛

- زوال فكرة تقسيم الحروب الى عادلة وغير عادلة، وأصبحت من حقوق الدول، تمارسه متى شاءت؛

- تعزيز التمثيل الدبلوماسي عن طريق سفرات دائمة، والاعتراف بحصانات ممثلي الدول الأجنبية؛

- إقرار سياسة التوازن الدولي.

سعى ملوك القارة الأوروبية إلى الحفاظ على السلم، وذلك بإقرار سياسة التوازن الدولي، اي عدم تمكين دولة واحدة من بلوغ درجة القوة تسمح لها بشن حروب؛

- ز- التحالف الأوروبي: بعد هزيمة نابليون أقامت الدول المنتصرة (روسيا وبروسيا النمسا ثم فرنسا) تحالفا بعقد مؤتمر فيينا 1815 الرامي إلى إعادة التوازن الأوروبي، عودة الأنظمة الملكية إلى عروشها، القضاء على الحركات الثورية، إقرار بعض القواعد الخاصة بالملاحاة في الأنهار الدولية، وتحريم الاتجار بالرق.

ظلت الدول غير المسيحية بعيدة عن المؤتمرات والمعاهدات الدولية حتى سنة 1856 أين انعقد مؤتمر باريس لتنظيم الملاحة في المضائق التابعة لتركيا والبحر الأسود، حيث شاركت تركيا فيه وهي الدولة الإسلامية الوحيدة في المؤتمر، ليتحرر بذلك القانون الدولي من القيود الإقليمية والدينية.

ثانيا: المجتمع الدولي في العصر المعاصر

شاهدت فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى تغيرات على المستوى الدولي بعدما كانت فترة 1815-1914 تمتاز بالتحالف الأوروبي.

أدت ضرورات التعاون بين الدول إلى إنشاء هيئات إدارية (اتحاد التلغراف الدولي 1865، الاتحاد العام للبريد 1814 ..

شاهد العالم الحرب العالمية الأولى لمدة أربع سنوات، بعد نهايتها حدثت تغيرات جذرية ترمي إلى عدم تكرار المأساة، منها: وضع أول منظمة دولية سياسية ترمي إلى التعاون بين الدول وهي عصبة الأمم المتحدة، التي تولدت عن مؤتمر فرساي للسلام 1919، هدفها إيجاد علاقات بين دول متساوية في السيادة، مع حل النزاعات بطرق سلمية، إلا أن الجهود التي بذلتها العصبة للحفاظ على السلم والأمن الدولي باءت

بالفشل باندلاع الحرب العالمية الثانية، التي كانت اشد قسوة، الأمر الذي استلزم التفكير في إنشاء منظمة الأمم المتحدة 1945 بإعادة بناء نظام قانوني يستدرك سلبيات العصبة.

يمكن تلخيص أهم خصائص المجتمع الدولي في عصر الأمم المتحدة في:

- تطور ظاهرة المنظمات الدولية للحاجة إلى التعاون الدولي؛
 - ظهور الحركات التحررية الداعية للاستقلال ؛
 - تحريم اللجوء إلى الحرب واستعمال الوسائل السلمية لحل النزاعات؛
 - ظهور التكتلات الاقتصادية العالمية ونقل رؤوس الأموال وتحرير التجارة الدولية بظهور الشركات المتعددة الجنسيات ؛
 - استغلال البحار والفضاء نتيجة التطور التكنولوجي؛
 - تفكيك المعسكر الشرقي لتظهر قوة عالمية واحدة بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية؛
- وقد استعمل جورج بوش الأب مصطلح النظام العالمي الجديد في نهاية 1989 أثناء دعوته لتأسيس نظام جديد بديل عن نظام القطبية الثنائية، وبدأت معالم هذا النظام في البروز مع حرب الخليج الثانية سنة 1990 بسبب عوامل عدة:

- انهيار القطب الشيوعي؛

- تراجع دور حركة عدم الانحياز؛

- عولمة الاقتصاد الحر الرأسمالي؛

العالم بعد أحداث الحادية عشر سبتمبر 2001 : شكلت هذه الأحداث تحولا عميقا في مسار العلاقات الدولية، حيث لجأت الولايات المتحدة في ردة فعلها على هذه الأحداث بإجراءات وتدابير استثنائية كانت لا تتقيد في أغلب الأحيان بقواعد القانون الدولي في إطار مفهومها للإرهاب الدولي؛ انصب اهتمام المجتمع الدولي بالقضايا الأمنية؛ الخلط بين الإرهاب والإسلام؛ واختلال موازن القوى في العلاقات الدولية

وبعد جائحة كورونا والحرب الأوكرانية يتأكد أن المجتمع الدولي يتأثر بشكل أوبأخر بمجرى العلاقات الدولية. كما يتأثر بفعل المتغيرات الحاصلة فيه بما فيها العلمية فقد اثبتت التطورات التقنية وبشكل خاص في مجال الذكاء الاصطناعي بروز الحديث عن فكرة الشخصية القانونية لربوت الذكاء الاصطناعي.